الفصل الرابع

أيام قلقة وظهور حركة الضباط الأحرار

◆◆◆

obeikandl.com

obeikandl.com

تشكيلات الحرس الملكي

كانت قوات لواء الحرس الملكي مشكلة ومنظمة بشكل خاص مغاير للتنظيم المعمول به في الجيش العراقي، إذ كانت القوة مؤلفة من لواء ناقص فوج من وحدات مشاة وخيالة ومدفعية. مؤلفة من مقر اللواء.. وفوج مشاة هو فوج الحرس الملكي الأول.. وكتيبة خيالة هي كتيبة الهاشمي الأولى.. وبطرية مدفعية من تسعة مدافع قوس ٨, ٣ عقدة الملغي استعمالها في الجيش؛ كما يلتحق بمقر اللواء رعيل خيالة البولو المكون من ٣٠ جنديًا.

وحتى أوائل عام ١٩٥٤ كان فوج حراسة العاصمة المخصص كحامية لبغداد والموجودة ثكناته في وزارة الدفاع في عداد قطاعات الحرس الملكي. إلا أنه فك ارتباطه عن اللواء، على أمل تشكيل فوج الحرس الملكي الثاني ليكمل بذلك التشكيل النظامي للواء مشاة عراقي. بيد أن الفوج الثاني لم يتم تشكيله حتى اندلع لهيب الثورة، وتم إلغاء الحرس الملكي.

والجدير بالذكر أن تعداد ضباط وضباط صف ومراتب فوج الحرس الملكي الأول يبلغ حوالي الثمانمائة رجلاً؛ وتعداد كتيبة الهاشمي الأول يبلغ حوالي الثمانمائة أيضًا، ووحدة البطرية ورعيل البولو ومقر اللواء والمراتب الملحقة باللواء؛ بحيث يبلغ تعداد اللواء ما بين ضابط وضباط صف وجنود حوالي الألفي رجلاً.

كانت قيادة اللواء بإمرة العميد عبيد عبد الله المضايفي.. وآمر فوج الحرس الأول العقيد الراكن ياسين محمد حليم، وآمر كتيبة الهاشمي العقيد عبد الجبار السعدي. أما آمر بطرية المدفعية فكان المقدم حسين العبيدي. وكانت هناك تشكيلة

من المرافقين العسكريين والحرس الخاص، بحيث خصص لكل من الملك والأمير مرافقان، كان العميد الركن نوري جميل يشغل منصب المرافق الأقدم للملك؛ ويشغل العقيد علي الصانع منصب المرافق الأقدم للأمير.

إن فوج الحرس الملكي الأول هو الوحدة العسكرية المسؤولة رأسًا عن حراسات القصور الملكية والبلاط. وكان تنظيم الفوج كاملاً من حيث العدة والعدد، ومشكلاً من مقر الفوج وست سرايا مشاة. أربعة منها سرايا بندقيات، وسرية إسناد ينقصها فصيل هندسة الصولة، وقد استعيض عن فصيل المقاومة الدبابات برعيل مدرعات مكون من ثلاث مدرعات رولزرويس، أما سرية المقر فهي سرية خدمات وإعاشة وتموين ونقل ومخابرة.. إلخ.. كما ارتبطت مفرزة ومعمل التصليح لآليات اللواء بمقر الفوج خلافًا للتنظيم العسكري لفوج المشاة العراقي.

وتوزع سرايا البندقيات الأربع لحراسات القصور الملكية والبلاط؛ بحيث تكون هناك سرية واحدة لحراسة قصر الرحاب، وسرية لحراسة قصر الزهور وثكنة فوج الحرس الملكي. وسرية لحراسة البلاط. وتبقى سرية واحدة في الاستراحة انتظارًا للتبديل في السرايا والواجبات مرة كل ثلاثة أشهر، إذ تحل سرية محل سرية أرخى في الحراسات المذكورة.

ويتكون ملاك السرية من حوالي المائة والعشرين رجلاً موزعين على مقر السرية، وثلاثة فصائل مشاة مسلحة بالبنادق والرشاشات البرن ومدافع هاون ٢ عقدة.. ويتم توزيع قوة البندقيات في السرية بشكل نقاط حرس حسبما فصلناه في الفصل الأول.

أما كتيبة الهاشمي الأولى فاكن تنظيمها وملاكها كتنظيم وملاك الفوج، بيد أن جنودها فرسان يمتطون صهوات الجياد، رغم أن صنف الخيالة كان قد ألغى في

الجيش العراقي لانعدام دورهم في الحروب والقتال. إلا أن ولع الأمير وحبه للفروسية والخيول حمل رئاسة أركان الجيش على أن تبقى على هذه الوحدة.

ولم تكن للكتيبة المذكورة علاقة أو واجبات تتعلق بحراسة القصور والبلاط باستثناء سرية السياقة الرابعة التي كان معسكرها قرب البلاط، وقد خصصت لها واجبات رمزية كمرافقة السفراء أو الاستعراضات.

أما بطرية المدفعية – ٣,٧ عقدة – فكانت مدافعها من الطراز القديم الذي أوشك على إلغائه من الجيش، ولا علاقة لها من قريب أو بعيد في الحراسات الملكية إلا اسميًا.

لقد تشكل الحرس الملكي في عهد الملك فيصل الأول من سرية خيالة واحدة، واستمر بالتقدم والنمو إلى أن غدا بشكله الحالي، وتعاقب على قيادة اللواء والوحدات نخبة ممتازة من ضباط الجيش العراقي، كما انضم إلى ملاكه بضعة مرافقين عسكريين للملك أو للأمير هم صفوة مختارة من أحسن وأشجع الضباط.

وكان فوج الحرس الملكي الأول يعتبر النموذج المحتذى في ضبطه وتنظيمه والمستوى العالي للتدريب فيه، فضلاً عن كونه الأول في جميع السباقات الرياضية. ويضم عددًا من الضباط والجنود من أبطال الرياضة في الجيش، وكانت قيادته قد أودعت زهاء اثني عشر عامًا إلى الرائد الركن ناظم الطبقجلي[1] وبقي المرحوم آمرًا للفوج المذكور إلى أن رقي إلى رتبة عميد ركن حيث تم نقله إلى آمرية أحد ألوية المشاة الأخرى.

(١) المعلوم عن المرحوم ناظم الطبقجلي أنه كان مؤيدًا لحركة الضباط الأحرار والقيام بانقلاب في العراق. على ألا تسفك فيه دماء. تم تعيينه بمنصب قائد الفرقة الثانية بعد ثورة ١٤/ تموز. وتم تنفيذ حكم الإعدام فيه بعد قضاء أقل من سنة ونصف على نجاح الثورة لمحاولته القيام بثورة مضادة على حكم عبد الكريم قاسم. وتشاء الأقدار أن تنفذ فيه عملية الإعدام بأن أطلق عليه جنود من فوج الحرس الملكي (سابقًا) النار وتم إعدامه بتلك الصورة.

وفي عهد ناظم الطبقجلي كان فوج الحرس الملكي قد استمد معنوياته العالية وسمعته الطيبة في الجيش من شخصية آمره القوية الخلابة. وكان اختيار الضباط الأحداث إلى فوج الحرس الملكي يتم على أساس أن يكون الضابط المتخرج الأول من صنف المشاة في الكلية العسكرية بطل لعبة من الألعاب، ولم يكن هناك أي اعتبار للاسم أو الحسب أو النسب أو الطبقة الاجتماعية أو الميل السياسي. كما لم تكن لضباط الحرس الملكي أية امتيازات أو مخصصات تميزهم عن بقية ضباط الجيش العراقي باستثناء البذلة الزرقاء المقامة بالأحمر، وريشة الأوز التي تعلو خوذهم، في استعراضاتهم العسكرية وتشكيلات حرس الشرف.

وكان الضبط العسكري على أشده في الوحدة المذكورة.. والضابط مسؤول عن كل صغيرة أو كبيرة، وواجباته العسكرية كضابط تكاد تكون أكثر من واجبات بقية ضباط الوحدات في الجيش، ناهيك عن واجبات حراسات القصور الملكية، بحيث تبقى أرواح ساكنيها تحت رحمة مسدسه والستة إطلاقات الموجودة فيه.

إن أريحية الأمير عبد الإله واصطفاءه الأصدقاء من الضباط دون غيرهم من طبقات المجتمع العراقي، جعلا من الحرس الملكي الهدف الذي يرمي إليه ضباط بقية الوحدات الأخرى من الجيش، كما كان ضابط الحرس الملكي موضع حسد الجميع.

ولكن الأمر اختلف جذريًا عام ١٩٥٤ إذ لم يدخل فوج الحرس الملكي أي ضابط من الضباط الأحداث ما عدا الضباط الذين يرغبون أن يكونوا فرسانًا متطوعين في كتيبة الهاشمي الأولى، وليس لأحد سواء الملك أو الأمير أو آمرية اللواء دخل في انتهاء هؤلاء الضباط إلى الكتيبة.

وتغيرت الحال بالنسبة لفوج الحرس الملكي، إذ قرر الأمير أن يكون الفوج المذكور فوجًا عسكريًا لا يشترط في ضباطه أن يكونوا أبطالاً في الرياضة أو الأوائل

في صف المشاة في الكلية العسكرية.

وهكذا ففي ١/ تموز/ ١٩٥٦ تم اختيار ٥ ضباط أحداث من الكلية العسكرية العراقية.. ليلتحقوا بفوج الحرس الملكي الأول.

وكان الاختيار قد تم على أساس.. الشكل المقبول.. والجسم والبنية واللياقة العسكرية. ولم يراع في هذا الاختيار أي اعتبار أخلاقي أو نوع أو سياسي. وكان أحدنا شيوعيًا معروفًا، مشهورًا بتطرفه لعقيدته هذه.

وحالما تم التحاقه بالفوج قابلنا الآمر وألقى علينا محاضرة استغرقت دقائق عن واجب الاعتناء بالمظهر الخارجي والاهتمام بالضبط والتدريب العسكري. وقام مساعد آمر الفوج النقيب هادي خماس بجولة معنا في الثكنة والقصور الملكية استغرقت ساعة واحدة للتعرف على معالم القصور الخارجية، والطرق ونقاط الحراسة. وما عدا ذلك.. لم نكن نعرف شيئًا ذا علاقة بالمهمة التي سنقوم بها.. مهمة إيداع أرواح وممتلكات الأسرة المالكة العراقية في أيدينا.

أما جنود الفوج فشأنهم شأن جنود الجيش العراقي، وهم مختارون من أفواج التدريب. من الجنود الحسني المظهر والقيافة، ولم يكونوا من عشيرة أو طبقة أو ديانة أو عنصر معين.. كانوا كبقية جنود الوحدات في الجيش من الشعب العراقي، كما هو متجانس متكامل.

وجندي الحرس الملكي كالجندي العراقي عامة صبور.. مطيع.. بطئ التفكير ينفذ الأوامر كما هي.. همه الأول إعالة عائلته وأولاده. وقد أعطوا مخصصات قدرها ٦٠٠ فلسًا شهريًا لكل جندي علاوة على ما يتقاضاه قرينه الجندي، في بقية الوحدات لقيامه بواجب الحراسات الملكية.

وجنودنا جسورون مقاتلون أشداء عندما تثور فيه النخوة والحمية للحرب، وقد

كنا نحسن تدريبهم ونبالغ في ضبطهم، وتشديد الأوامر عليهم، والعقوبات على المخالفين منهم، بحيث يمكن القول بكل اطمئنان بأن فوج الحرس الملكي كان من أحسن وألمع الأفواج العراقية.

أيام قلقة

يمكن اعتبار شهر تشرين الأول من عام ١٩٥٦، هو الشهر الذي وقع فيه العدوان الثلاثي على مصر؛ بدء انعطاف تاريخي للنشاطات السياسية المنظمة في الجيش العراقي، والتي نجحت بالإطاحة الملكية وإقامة الجمهورية العراقية.

إلا أن ذلك لا يعني أن التحركات السياسية كانت معدومة في الجيش قبل ذلك التاريخ، لأن من المعلوم أن أول انقلاب عسكري شهده العالم العربي وقع في العراق في الثلاثينات إذ أطاح الفريق بكر صدقي بالحكومة المدنية وشكل حكومة تسير بظل الجيش، ثم أعقب ذلك تدخلات من جانب الضباط في الشؤون السياسية واختيار الوزارات وإسقاطها إلى أن انفجرت الحرب العراقية البريطانية في شهر مايس من عام ١٩٤١ إذ شن الجيش العراقي هجومًا على القواعد البريطانية الموجودة في العراق، وحمل عبد الإله والحكومة الموالية للحلفاء على مغادرة العراق. ولم تدم الحركة إلا بضعة أسابيع انتهت بتشتت شمل الجيش العراقي ووصول الوحدات البريطانية إلى بغداد. وتم تشكيل حكومة جديدة ونصب الفريق إسماعيل نامق رئيسًا لأركان الجيش. فأحال أعدادًا كبيرة من الضباط على التقاعد والطرد من الخدمة والسجن. وعندما انتهى الفريق نامق من حملته تلك، وقف أمام مجلس الأمة ليعلن أن الجيش أصبح مسدسًا نظيفًا ومحشوًا وموضوعًا في غمده. وقد عنى بذلك أن الجيش عاد إلى ثكناته ليقوم بواجبه: الدفاع عن الوطن عندما تدعو الحاجة.

لقد مدَّت حرب سنة ١٩٤١ التي خسرها السياسيون وقادة الجيش من عهد

عبد الإله وحكوماته في العراق، ولم يعكر صفو ذلك الأمد سوى ما حدث من ثورات محلية لبعض القبائل الكردية أو العربية، والمظاهرات الشعبية العارمة في شوارع بغداد ومدن العراق الأخرى.

وكان الجيش آنذاك ينفذ الأوامر الموكلة إليه من الحكومة القائمة. على أنه ليس من الصحيح القول بأن الجيش لم يكن يشارك في عواطفه وأحاسيسه مظاهرات الشوارع في بغداد.. ومن الظلم القول بأنه لم يكن هناك ميل من الضباط للانقضاض على الحكم والإطاحة به. بيد أن فشل حرب سنة ١٩٤١ وما أعقبها من إعدام وتنكيل بالضباط الذين قاموا بها وانتصار الحلفاء عامة في الحرب الثانية، وهي الجهة التي كان يقف معها عبد الإله وحكوماته؛ فضلاً عن وجود بعض القوات البريطانية في قاعدتي الحبانية والشعيبة. كل ذلك على ما نعتقد جعل العسكري العراقي في أعوام الأربعينات وأنى أواسط الخمسينات يحجم عن الإقدام على أي عملية انقلابية عسكرية، لأن الضابط العراقي كان على الأغلب يخشى أن تقوم القوات البريطانية الموجودة في أرض العراق بضربه بشدة كما فعلت في عام ١٩٤١ إن هو قام بحركة ضد العرش.

إلا أن انسحاب القوات البريطانية من العراق عام ١٩٥٣ وما تلا ذلك من نجاحات لانقلابات عسكرية عربية وغير عربية، فضلاً عن ظهور مناخ سياسي ملائم جدًا للانقلاب العسكري، أدى إلى بروز تنظيمات سياسية عسكرية مختلفة في الجيش العراقي.

ومن الواضح أنه قد كتب الكثير عن كيفية قيام حركة الضباط الأحرار، ورويت أحاديث مختلفة، وقيلت أقوال متناقضة، ونسجت روايات مبالغ فيها عن نشأة وتطور حركة الضباط الأحرار هذه، ومن قام بها.. من أسسها.. ومن هو أول منظم فيها.

الإبلاغ عن حركة الضباط الأحرار

إن أول إبلاغ عن هذه التحركات وصل البلاط الملكي بعد أحداث العدوان على مصر، وذلك بأن استلم عدد من كبار ضباط الجيش رسائل بالبريد يدعونهم فيها إلى الانضمام لحركة الضباط الأحرار، وقد وردت إحدى هذه الرسائل معنونة إلى العقيد علي الصانع المرافق الأقدم للأمير، وقد أحيلت هذه الرسائل إلى الاستخبارات العسكرية للتحقيق في هوية مرسليها.

وبعد أحداث بغداد الدامية إثر العدوان على مصر، وازدياد النشاط السياسي المعارض للحكومة العراقية، حدث أول تماس بالملك حول هذا الموضوع؛ وقد وضع الأمر على تلك الصورة:

قام شخصان يرتديان الملابس العربية بإيقاف الدراجة البخرية الخلفية المرافقة لموكب الملك، والتي يقودها الجندي المخصص لاستلام العرائض من الناس. وأخبرا الجندي بأنهما ضابطان في الجيش ولا يريدان أن يكشف أحد هويتهما أو يتعرف إليهما حتى الملك نفسه، وسلموه رسالة طلب منه تسليمها شخصيًا للملك.

وقد جاء في الرسالة المذكورة أنباء مطولة، وأخبار ومعلومات عن حركة الضباط الأحرار في الجيش، وقد أغفل كاتب الرسالة ذكر الأسماء أو الهويات أو الرتب.

ويتحدث الملازم فالح حنظل في الحرس الملكي عن ظهور حركة الضباط الأحرار ويقول: بصفتي ضابطًا في الجيش ولي العديد من الزملاء الضباط في بقية وحدات الجيش، أستطيع الجزم بأن تشكيلاً واسعًا أو منظمًا لحركة انقلابية لم يكن له

من أثر في صفوف ٩٠٪ من ضباط الجيش العراقي حتى نهاية سنة ١٩٥٦.

وإلى أوائل شهر كانون الأول من العام المذكور، عندما كانت حرب الإذاعات قد بلغت أشدها بين العراق من جهة، ومصر وسوريا وحتى الأردن (إذ كانت حكومة النابلسي ما تزال في الحكم) من جهة أخرى، وعندما كنت أجتمع بالأمير عبد الإله، لم يكن يبدو عليه القلق أو الخوف من مصير قريب ينتظره، وكان كل ما يطلبه مني أخباره عن آخر ما يبلغ أذني من تعليقات الناس وأحاديثهم في الشؤون والأحداث العامة في البلد، وكان تعليق الأمير وهو يسمع إلى الإذاعات العربية تهاجم العراق؛ والعراق يهاجم ويدافع - بقوله:

(يبدو أننا العرب قد جننا..)

وعندما كان مكتبه في البلاط يعج بالرسائل السرية، وهي تحمل في طياتها أخبار «الطبخة» الانقلابية التي كان يعدها الملحق العسكري العراقي في دمشق العقيد الركن صالح مهدي السامرائي للإطاحة بحكومة سوريا كان الأمير يبدو أنه على بينة من الأمور تسير بشكل طبيعي. إلا أنه عندما فشلت المحاولة تلك، تنبه للمرة الأولى بأن القوى الخارجية التي كانت تدعم سوريا ومصر.. لم تعد صديقة له كما كانت في السابق؛ وإن خطرها عليه أشد وأقوى من خطر القوى التقليدية الداخلية التي كانت تكرهه في العراق.

لذلك، فعندما أعد العدة للسفر إلى أميركا في كانون الثاني من عام ١٩٥٧ على أن يبقى بضعة أيام في بيروت لإجراء مباحثات هناك، لم يكترث البتة عندما أبلغتنا الملحقية العسكرية في بيروت بأن من الممكن أن يتعرض لمحاولة اغتيال قد تقوم بها عناصر سورية أثناء إقامته في لبنان؛ ولم يثنه هذا التوجس عن السفر.. وعندما كنا في بيروت كان تعليقه الوحيد على أحداث العراق وسوريا والعالم العربي.. بأن الموقف

قد أصبح سخيفًا.. وأن على الأمريكان أن يدركوا ويفهموا بأن سياستهم الحمقاء في دعم القوى الثورية واللعب على الحبلين سيجر العراق وأقطار الشرق الأوسط كلها إلى كارثة الوقوع في يد الشيوعية.

وبعدها سافر إلى أمريكا لهذا الغرض.

قضية الملازم كمال مجيد:

حياة ضباط الحرس الملكي، كانت الأمور تسير في الوحدة بشكلها الطبيعي المعتادة إلا أن الحادث الذي هز الحرس الملكي ، وأقام الجيش وأقعده.. كان نبأ اعتقال الملازم كمال مجيد الملا أحد ضباط السرية الثالثة في فوجنا، ومن زمرة الضباط الأحداث الذين تم إلحاقهم بالفوج في ١/ تموز/ ١٩٥٦ . فوجئ الضباط بنبأ اعتقال الملازم المذكور، ولم ينقض على التحاقه بالفوج أكثر من سبعة أشهر، بحيث انتشر هذا النبأ في أوساط الجيش انتشار النار في الهشيم، وبخاصة إذا علمنا أن الجيش كان ينعم بهدوء واستقرار سياسيين منذ سنوات طولية، فما بالك باعتقال أحد ضباط الحرس الملكي.

وكانت الضجة التي أثارها نبأ الاعتقال لا تعادل أو لا تكاد تستوي بحقيقة الفعل الذي أقدم عليه هذا الملازم، إذ صدرت الأوامر إلى ضباط الفوج بالاجتماع فورًا، وحضر الأمير الذي بدأ عابس الوجه، مقطب الأسارير، وتكلم كعادته بصوت خفيض تتزاحم الكلمات في فمه إذ قال: «كيف تسمحون أن يكون ضابط كهذا بينكم.. جئت الآن معاتبًا. . لكن إذا حدث أمر كهذا في المستقبل فسأعاقب».

قال ذلك وتركنا وانصرف. . ونحن نضرب أخماسًا بأسداس عما فعله كمال.

وبعد أن انجلت الأمور علمنا بأن كمالاً كان يقرأ في إحدى الجرائد نبأ الحكم على

السيد كامل الجادرجي أحد أقطاب المعارضة بالسجن مدة ثلاث سنوات، بجريمة الطعن بالحكومة، وإشاعة أخبار ملفقة عن استخدام الطائرات البريطانية لمطار الحبانية في ضرب القوات المصرية أثناء العدوان. لم يستطع معه الملازم المذكور أن يضبط أعصابه، فصفق الجريدة وانهال سبًا وشتمًا بالحكومة العراقية؛ وقد حدث ذلك أمام أحد ضباط الشرطة التي كانت الأميرة عابدية قد ربته منذ طفولته؛ فأبلغ الأمر إلى القصر الذي أقام الدنيا وأقعدها.

وتبين فيما بعد أن الضابط كان شيوعيًا إلا أنه غير منظم في أية تشكيلة سياسية أو تنظيم انقلابي في الجيش.

التماس الأول بين الضباط الأحرار وضابط في الحرس الملكي:

لقد كان شهر آذار من عام ١٩٥٧ شهر هدوء في بغداد بحيث ساد السكون شوارعها ولم يعد هناك أثر للمظاهرات الصاخبة التي عمت العاصمة أيام العدوان، بيد إنه يمكن القول بأن ذلك السكون كان كالهدوء الذي يسبق العاصفة، ويمكن تلخيص الموقف السياسي في العراق بأنه كان إفلاسًا تامًا لسياسة النظام القائم كله، وحبًا جماعيًا للرئيس جمال عبد الناصر.

وفي فترة هدوء الشوارع تلك كانت الكتل السياسة المعارضة قد باشرت نشاطها السياسي على أشده، وبرز اسم الجبهة الوطنية التي احتوت كل الأحزاب المعارضة في جبهة واحدة لإسقاط النظام القائم في العراق.

وفي تلك الفترة من تلك السنة حدث أول تماس لعناصر الحركة السياسية في الجيش بضباط الحرس الملكي، وشاءت الصدف أن أكون أنا أحد الذي جرى الاتصال بهم.

كان ذلك بأن اتصل بأحد ضباط كتيبة الهاشمي الأولى من لواء الحرس الملكي..

النقيب عباس الدجيلي.. أحد ضباط الفرقة الأولى في الكلية العسكرية، وقد عرف آنذاك بتصرفاته الغريبة وأفعاله الطائشة.

اتصل الدجيلي بضابط الحرس وفاتحه بموضوع الانتماء إلى حركة الضباط الأحرار، وصرح له بأنها حركة منظمة وقوية غايتها تخليص الوطن من الحكم القائم.

وفي لقاءين أو ثلاثة بين ضابط الحرس والضابط المذكور لم تكن المعلومات التي ذكرها الدجيلي لتتناول أسماء أو رتبًا أو وحدات؛ لأنه عندما سأله ضابط الحرس عن أقدم رتبة في التشكيل رسم الدجيلي بسبابته علامة الصليب، وهي إشارة إلى السيفين المتقاطعين اللذين يضعهما الضابط برتبة لواء فوق كتفيه.

وعندما فاتحني ضابط كتيبة الهاشمي بالانضمام إلى مجموعة الأحرار هذه.. كنت في نفس مساء ذلك اليوم أقابل الأمير عبد الإله وأنقل إليه القصة كلها من ألفها إلى يائها.

وفي خلال الحديث مع الأمير.. لم يقاطعني البتة بل ظل مستمعًا.. وعندما كنت أردد أمامه عبارة الضباط الأحرار... كانت تمر أمامه وكأنه قد تعود على سماعها فلم يعرها أي اهتمام أو اكتراث، كما لو تذكر له هذه العبارة للمرة الأولى. أما بالنسبة لي فقد كنت أسمع بهذه العبارة للمرة الأولى في حياتي.

إلا أنني عندما ذكرت له بأن أقدم رتبة في التشكيل يحمل رتبة.. لواء.. فسرعان ما زوّي بين حاجبيه، وبانت على وجهه أمارات التفكير.

لم يعلق الأمير على الموضوع كثيرًا، وكل ما هنالك أنه أوصاني بزيادة الاتصالات للحصول على أية معلومات جديدة بهذا الصدد. وختم حديثه أن أفضى إلي بأن عددًا من الضباط قد أحيلوا إلى التقاعد والإخراج من الجيش وشمل قرار التسريح

فيمن شمل الملازم كمال مجيد من فوج الحرس الملكي. وضابطًا آخر من الحرس الملكي هو النقيب فاضل مهدي البياتي[1] كما أحيل النقيب عباس الدجيلي[2] إلى التقاعد كذلك.

ويبدو أن قائمة التقاعد تلك كانت الأولى والأخيرة من الضباط الذين وردت بحقهم معلومات تفيد بأنهم شيوعيون أو غير موالين للحكومة، علمًا بأن أيًا منهم لم يعتقل أو يستجوب أو يحال إلى محكمة، كما أن الطريقة التي أخبرني بها الأمير عن إحالة هذه المجموعة إلى التقاعد أوحت بأن الأمير يعتقد بأن تسريح أولئك الضباط من الجيش... يخلي الجيش من كافة العناصر المناوئة له.. ولم يعد هناك ما يخشى منه.

وحتى فترة شهر حزيران من ذلك العام كانت الأنباء التي تردنا عن تحركات الضباط في أغلب الوحدات.. مجرد شائعات وأقاويل وأنباء غير مؤكدة أو موثوق بها. وفي الأغلب الأعم لم تكن فكرة الضباط الأحرار سوى قضية تجمعات من أربع أو خمس كتل من الضباط.. كل كتلة تشتغل حسب هواها.. ولم يجر توحيدها بعد.. وأغلب الظن أنه لم يجر فيما بينها التعارف حتى ذلك التاريخ؛ ويمكن التكهن بأن غالبية الضباط الذين هم دون النقيب رتبة لم يكونوا قد سمعوا بها أكثر مما سمعت، وحتى حينما كنت أداوم في دورة عسكرية خاصة في مدرسة المشاة مع حوالي المائة ضابط من رتبة ملازم وملازم أول ونقيب من مختلف وحدات الجيش لم تكن

(١) النقيب فاضل مهدي البياتي.. كان ضابطًا في كتيبة الهاشمي.. وهو معروف بميوله الشيوعية. أحيل إلى التقاعد، ثم أعاده عبد الكريم قاسم على الخدمة وسلمه معتقل الدبابات الرهيب، حيث سلم البياتي الضباط القوميين أصنافًا من التعذيب والإهانة.. وقد تم إعدامه في ثورة شباط عام ١٩٦٣.

(٢) النقيب عباس الدجيلي. أعاده عبد الكريم قاسم إلى الخدمة وعين بمنصب معاون مدير شرطة بغداد وغدًا شيوعيًا عنيفًا. سلم الضباط القوميين العذاب. وقد تم إعدامه في ثورة شباط من عام ١٩٦٣ عندما أطيح بحكم عبد الكريم قاسم.

معلوماتي لتزيد قليلا.. وكان هناك انقلاب فاشل قد وقع في الأردن.. إلا أن نوعية حديث الضباط عن كل تلك الحوادث.. لا تعدو العموميات.. ولم يكن اهتمامهم بالوضع السياسي أكثر من اهتمامهم بلعب الطاولة والبنك بونك.. رغم صراخ وزعيق مذيعي الإذاعات المختلفة الذي يملأ أرجاء البهو.

وعندما قضت الأسرة المالكة طوال صيف عام ١٩٥٧ في استانبول جرت محادثات على مستوى عالٍ مع المسؤولين الأمريكان وممثلي دول حلف بغداد على النحو الذي ظهر بالتفصيل في محاكمات المهداوي، إلا أن ذلك الصيف لم يكن البتة مريحًا للأمير.

أما الملك فقد أعلن للشعب العراقي نبأ خطوبته من الأميرة التركية فاضلة إحدى أقارب الملك فاروق، ملك مصر السابق، ومن سلالة آل عثمان حكام تركيا السابقين، وقد قابل الشعب العراقي كله نبأ هذه الخطوبة بالكثير من خيبة الأمل في ملكته الجديدة التي لا يعرفها ولا تعرفه.. وعندما اصطحبها معه إلى بغداد حيث تجولا في حدائق قصر الزهور، رأيت لأول مرة الفرحة تطل من عيني فيصل، وهو يقدم زهرة من الحديقة إلى خطيبته التي بدت وكأنها ريحانة ريعانة بوجهها المشرق الفتان. إلا إن هذه الأميرة تنتمي إلى أسرتين ملكيتين تم إقصاؤهما عن عرشيهما.. وأخشى ما أخشاه أن تجلب نحس عائلتها المشؤومة على عرش فيصل، وعندما انطلق بها فيصل لزيارة الأماكن المقدسة في كربلاء والنجف. قابلها الشعب هناك بكل حفاوة وترحاب، بل كادت ترفع السيارة الملكية عن الأرض. وعندما كانت الفرحة تغمر فيصل، وهو يفاخر أمام عروسه بأنه حبيب الشعب كان عبد الإله يمر بسلسلة من مراحل القلق النفسي عن الوضع السياسي في العراق، لأن التقارير التي كانت تصلنا تباعًا تفيد بأن الدعوة حركة الأحرار تنتشر بسرعة لم يكن يتوقعها

عبد الإله في أوساط الجيش. ولـذا فقـد أدرك بثاقـب بصره بـأن مظـاهر الحـب التـي أحيط بها فيصل في كربلاء والنجف لم تكن غير مظاهر فارغـة وانـدفاعات جماهيريـة انفعالية، وأن هذه الانفعالات لا وجود لها في بغداد.

لقد قابلته بعد يومين من وصوله إلى العـراق وكـان في جعبتـي أخبـار مختلفـة عـن النشاطات السياسية في الجيش، وعندما كنت أتحدث معه كـان يصـغى إليّ وأمـارات وجهه تطفح بهم ثقيل، كأنما هـو يشـكو صـداعًا مؤلمًـا ولم يكـن يـدور بخلـدي أننـي سأسمي ذلك اليوم من شهر آب في مذكراتي.. يوم غروب الابتسامة عن وجـه عبـد الإله.. وكل ما أتذكره الآن هو أنني لم أر الأمير بعـد ذلـك، إلا كانـت أمـارات الهـم تزداد وضوحًا في وجه.

ولما أنهينا الحديث.. لم يعلق الأمير عليه بشيء، وإنما طلب مني نقـل هـذه الأنبـاء إلى ضـابط استخبارات اللـواء وتوحيـدها مـع بقيـة المعلومـات التـي لم يطلـع عليهـا بعد..

كانت نبرات صوته وطريقة كلامه مختلفة هذه المرة.. إذ كان يتحـدث وكأنـه غـير مكترث للأمر البتة، أنه كان حتى ذلك التـاريخ يتصـور أن تلـك التحركـات لم تكـن سوى ألعاب صبيانية ستسبب له مشكلة.. ثم لا تلبث أن تـزول كـما يزايـل الصـداع الرأسي.

تغييرات في قيادات الحرس الملكي:

لقـد حـدثت جملـة تغيـيرات في قيـادات الحـرس الملكـي لأن آمـر اللـواء عبيـد الضايفي.. رفع إلى رتبة أمير لواء، وتسلم منصب كبير المرافقين العسـكريين. وعـين العقيد طه مصطفى البامرني آمرًا لفوج الحرس الملكي الأول.. والبامرني هذا ضـابط كردي عرف عنه بأنه قاد إحدى سرايا المشاة ببسالة في حرب فلسـطين عـام ١٩٤٨.

ثـم اشـتغل فـترة في الاسـتخبارات العسـكرية، وهـو ذو مظهـر صـلب وشخصـية عسكرية قوية.

كما عين العقيد جميل خليل بمنصب آمر كتيبة خيالة الهاشمي الأولى؛ كذلك التحق بفوجنا خمسة من ضباط الدورة ٣٣ الحربية من الكلية العسكرية كضباط أحداث ليملأوا شواغر الملاك من الضباط.

أما منصب آمرية اللواء فقد ظل شاغرًا لفترة لأنه كان هناك عدد من الضباط مرشحين لهذا المنصب، كالعميد الركن ناظم الطبقجلي الذي هو أحق من غيره في استلام اللواء باعتباره الأب البار لفوج الحرس. كما رشح اسم العميد الركن محيي الدين عبد الحميد، إلا أنه اعترض عليه بسبب كونه مرافقًا عسكريًا للعقيد كامل شبيب أحد قواد حركة سنة ١٩٤١. ثم سمعنا همسًا خبر تسريح العميد الركن عبد العزيز العقيلي باعتبار أنه شغل منصب مقدم لواء الحرس الملكي مدة ثلاث سنوات. هذا وكان أقرب الأسماء المتوقعة لشغل هذا المنصب الشاغر هو العميد الركن أحمد محمد يحيى باعتباره أنه أحد أصدقاء الأمير الشخصيين.. وتم تعيين العميد الركن محسن محمد علي الذي كان يشغل منصب الملحق العسكري في القاهرة طيلة الأزمة مع مصر.. ولم يمكث العميد محسن طويلاً، إذا سرعان ما تسلم منصب مدير الدعاية العام بالوكالة.. وعندما غاب استلم اللواء وكالة العقيد طه البامرني باعتباره أقدم ضابط في لواء الحرس إضافة إلى منصبه الأصلي كآمر فوج الحرس، وبقي كذلك، ولم يلتحق العميد محسن محمد علي إلى يوم إلغاء الحرس الملكي.

الملك يقوم بزيارة لبيوت أحد الضباط في منصورية الجبل:

وفي هذه الفترة كانت الأخبار التي تردنا عن النشاط السياسي في الجيش قد تناولت أسماء لرتب مختلفة.. ويبدو أن الأمور أخذت تسير بشكل منحدر بحيث

شملت بعض ذوي الرتب الصغيرة، وكانت الأخبار قد تركزت في تلك الأيام على النشاط الذي يقوم به العميد الركن ناجي طالب أحد أمراء الأولوية في الفرقة الأولى.. والمرافق الأقدم سابقًا للأمير عبد الإله. ويبدو أن الرجل كما تدل التقارير المطولة عنه لم يكن خائفًا، بل كان يجاهر بكرهه للأمير عبد الإله، ولم يكن يتردد بمد لسانه حادًا يسلق به عبد الإله سلقًا في نوادي الضباط واجتماعاتهم.

وفي شهر تشرين الثاني من عام١٩٥٧ تركزت المعلومات على أن هناك تجمعات بين ضباط الفرقة الثالثة.. وبخاصة في معسكر منصورية الجبل حيث يقع مقر لواء المشاة العشرين، ولواء المشاة التاسع عشر، وعندما كنت مع الأمير في أحد اجتماعاتنا ذكرت له المعلومات الواردة من الفرقة الثالثة وبخاصة المعلومات عن نشاط الضباط الشبان من رتبة ملازم، كما أعلمته بأن هؤلاء الضباط غدوا يجاهرون بآرائهم ولا يخشون أحدًا.

فكان تعليق الأمير.. بأن هذه المعلومات قد تكون مبالغًا فيها إلى حد ما.. فاللواء الركن غازي الداغستاني قائد الفرقة الثالثة قد أخبره بالتقرير السنوي السري المرفوع من ضباط وحدات الفرقة.. بأنهم جميعًا سالمون من الإصابة بجرثومة الشيوعية: (يرد النص أعلاه حرفيًا في التقرير السنوي)[(١)] علمًا بأن التقرير المذكور يملؤه عادة أمراء التشكيلات والوحدات وما يرد فيه لا يعدو أن يكون كليشه موضوعة سلفًا. ولكي يدفع عبد الإله الشك باليقين عن مدى تغلغل هذه الحركة الجديدة في أوساط الفرقة الثالثة.. قام بصحبة الملك بزيارة إلى وحدات الفرقة.

(١) من المعلوم أن الزعيم عبد الكريم قاسم كان آمرًا للواء المشاة ١٩ أحد ألوية الفرقة الثالثة. وقد جاء في تصريح أدلى به السيد خروشوف في أسوان عام ١٩٦٤ أمام عدد من رؤساء الدول العربية وسفرائها بان عبد الكريم قاسم كان قد انضم رسميًا إلى الحزب الشيوعي العراقي قبل أربع سنوات من قيام ثورة ١٤/ تموز/ ١٩٥٨.

وكان في جملة البرنامج أن يزور الملك بيت أحد الضباط. واستقبله الضابط وزوجته في الدار يغمرهما السرور والسعادة. ولم تستغرق الزيارة أكثر من خمس دقائق لشرب الشاي، وانتهت بطريقة مسرعة كالتمثيلية التي لا عمق فيها ولا أثر. لأنها كانت تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي يقم بها الملك بزيارة بيت أحد ضباط جيشه.

حادثة إطلاق قنابل المدافع على الملك وصحبه:

إلا أن الحدث الذي هز كيان القصر هزًا وجعل عبد الإله يعيد النظر في قصة الضباط الأحرار ويشغل دوائر الاستخبارات بطلب المعلومات المفصلة عن حجم هذه الكتلة وسعتها ودرجة تغلغلها في أوساط الضباط ذوي الرتب الصغيرة.

ذلك عندما قامت فرقة المشاة الأولى بإجراء مناورات كبرى على الحدود العراقية السورية شاركت فيها جميع ألوية الفرقة ودروعها ومدفعيتها وصفوفها الأخرى. وقد أثار ذلك التمرين على هذا النطق الواسع لغطًا واسعًا بين ضباط الفرقة؛ إذ اعتبروه محاولة تمهيدية لغزو سوريا واحتلالها، لقد كان الضباط الأعوان – دون المقدم رتبة – يجاهرون فيما بينهم بأن قائد الفرقة اللواء الركن عمر علي يريد احتلال سوريا.

وكان التمرين غاية في الصعوبة إذ جرى في الصحراء الغربية وقد أصيب معظم الضباط بالإنهاك والتعب من جراء طول مدة التمرين. وراحت الأنباء عن قسوة عمر علي وشدته واصطداماته المتتالية بضباط الوحدات وتوبيخه إياهم أثناء فشلهم في إدارة التمارين العسكرية.

وقد تقرر أن يقوم الملك بزيارة الفرقة للاطلاع على بعض تلك المناورات، وعندما وصل إلى مقر الفرقة بصحبة الأمير، ورئيس الوزراء نوري السعيد. قابله

الجنود هناك بعاصفة من التصفيق، ونظم قائد الفرقة أهزوجة عشائرية انتهت بدبكة صاخبة اشتد وطيسها. إلا أن تلك الفرحة لم تدم طويلاً إذ سرعان ما تحرك الركب الملكي إلى رابية مرتفعة على إحدى كتائب مدفعية الميدان وهي تطلق نيرانها من شكل سدود نارية. وما أن فتحت المدافع نيرانها حتى سقطت إحدى القنابل على بعد ٥٠٠ ياردة من الرابية التي يقف عليها الملك وصحبه، وسقطت قنبلة ثانية أقرب إلى المثابة الملكية بحيث غطى غبارها الملك ومن معه، مما أجبرهم على ترك الرابية والفرار مسرعين بسياراتهم؛ لأن القنبلة الثالثة سقطت في مركز الربيئة التي كانوا يقفون عليها قبل لحظات.

وقامت الدنيا وقعدت.. وتناقل الناس أنباء ذلك الحادث.. ونقلته الصحف والإذاعات المصرية وأضافت عليه ما أضافت. وتشكل مجلس تحقيقي برئاسة عبد العزيز العقيلي للتحقيق في حادثة المدفع. إلا أن نتائج التحقيق لم تسفر عن إدانة أحد.. واعتبرت الطلقات تلك.. رميات خطأ من مدفع مجهول... !!

والظاهر أن التحركات في الفرقة الأولى لم تنته بقضية المدفع.. إذ قام المقدم الركن عبد الغني الراوي معاون أحد أمراء الأفواج في لواء المشاة الخامس عشر بفتح مشاجب الفوج والاستيلاء على كمية من الغدارات والطلقات شحنها بسيارة الملازم عبد الستار المعيني وجاء بها إلى بغداد وبرفقته عدد من الملازمين ليقوم بقتل جماعي للملك والأمير وسائر أفراد الحكومة العراقية في حفلة تخرج دورة كلية الأركان، إلا أن المحاولة أوقفت ولم تنفذ.

لكن الأخبار عن تلك المحاولة لم تكن بهذا الشكل، بل ذكرت أنه كان من المحمل أن يقوم لواء المشاة ١٥ باحتلال بغداد بعد أن أنهى تدريبه الإجمالي مع الفرقة الأولى، وعاد إلى البصرة عن طريق قطار بغداد – البصرة.

وعندما نناقش هذا النبأ مع الأمير.. استبعد- صحته لكون آمر اللواء المذكور العميد الركن أحمد محمد يحيى من الذي لا يرقى الشك إلى إخلاصهم لحظة واحدة.

وأردف قائلاً: إنه لا يعتقد بأن في إمكان لواء مشاة واحد السيطرة على بغداد. ثم لم تلبث المعلومات التي وردتنا أن إشارات إلى أن التحركات قد امتدت ووصلت إلى الوحدات الموجودة داخل العاصمة بغداد.. كما وردت معلومات عن نشاط عناصر من القوة الجوية.

تحركات في معسكر أبو غريب.. وزيارة الملك للمعسكر المذكور:

وفي إحدى الأمسيات اتصل بالقصر ضابط من إحدى كتائب الدبابات الموجودة في معسكر أبو غريب القريب من بغداد، وأفضى إلينا بمعلومات مفادها بأن معسكر أبو غريب غدا مقرًا لاجتماع الضباط المتقاعدين أمثال رفعت الحاج سري[1] وطاهر يحيى.. وأنهم يضعون خطة للاستيلاء على الكتيبة والتقدم بها باتجاه بغداد، وسرعان ما قرر الأمير أن يقوم الملك بزيارة إلى كتيبة الدبابات الثانية.. ووقف ضباط الكتيبة على نسق أمام المقر وصافحهم الملك واحدًا واحدًا وعلامات البشر والحبور على وجهه. ثم تناول معهم الشاي.. وكعادته انزوى عنهم جانبًا وهو يرتشف قدح الشاي الموجود أمامه، وانتهت الزيارة بشكل بروتوكولي مرسوم.. وغادر الملك ضباطه دون أن يترك أثرًا ما في نفوسهم وبخاصة الشبان منهم.

(١) العقيد رفعت الحاج سري (رحمه الله) كان من أوائل الضباط الذين نظموا حركة الضباط الأحرار بالجيش.. ويقال: إن نوري السعيد بعث بطلبه وقال له ناصحًا أن يترك القيام بمثل هذه الأعمال لأنه فيما إذا نجحت الثورة فإنه أي (رفعت) سيكون أول ضحية لها.. وبالفعل فقد تم إعدامه على يد عبد الكريم قاسم بعد أقل من سنة ونصف على نجاح ثورة ١٤/ تموز.

تحركات في لواء المشاة التاسع عشر.. وعبد الكريم قاسم:

ومن المؤكد أنه إلى أوائل عام ١٩٥٨ لم تتوفر للبلاط معلومات موثوقة عن الأسماء والرتب الكبيرة لحركة الضباط الأحرار. كما لم نستطع التوصل من خلال التقارير إلى التثبت من اسم الرأس المدبر الواقف وراء تلك الحركة.

إلا أنه في أوائل شهر كانون الثاني من نفس العام بلغني شخصيًا معلومات أكيدة عن مركز التجمع في منطقة معسكرات جلولاء ومنصورية الجبل حيث يعسكر هناك لواء المشاة (١٩). وذلك أن أحد ضباط اللواء المذكور كان يجتمع ليليًا مع ضباط الوحدات المختلفة ويناقشون تخطيطًا، وتقدير موقف لعملية عسكرية هدفها احتلال بغداد، والقيام بانقلاب عسكري. وأن أحد ضباط اللواء المذكور – وهو يشغل منصب مساعد أحد أمراء الأفواج – يقوم بتلك العمليات.

وقد ورد لأول مرة اسم عبد الكريم قاسم، حيث أفاد النبأ بأن عبد الكريم قاسم هو الرأس المدبر وراء النشاطات هناك.

وعندما ناقش تلك الأخبار مع الأمير بدا متلهفًا في تلك الليلة لمعرفة المزيد من الأنباء والأخبار. كما بدا وجهه جامدًا ساكنًا كعادته وهو يصغي، بحيث لا يكاد المرء أن يستقر ليعرف ما يدور بداخله من أحاسيس ومشاعر، اللهم إلا علامات الإجهاد والتعب التي أخذت ترتسم على وجهه منذ أشهر.

وما أن وصلت إلى اسم عبد الكريم قاسم.. حتى عاد إلى عادته فزوّى مابين حاجبيه وفرك جبينه بأصبعه وغرق برهة في التفكير.

وقال.. ولم يتطرق إلى اسم عبد الكريم قاسم.. (ولست أدري لماذا.؟). ولكني أعتقد إما أن يكون الأمير غير مهتم بالاسم.. أو أنه لا يريدني أن أشعر بأنه مهتم بعبد الكريم قاسم وقال.. وأعتقد بأنها حركة لضباط صغار.. والدليل على ذلك هو

أن الذي يقود ويوجه هذه المجموعات هو ضابط بمنصب مساعد آخر فوج.. والمساعد عادة ضابط برتبة صغيرة.

وقاطع الحديث مرافقه العقيد عبد القادر محمود بقوله: «ولكن يا سيدي يجب أن لا نهمل الأمر.. إن الأمر يبدو صغيرًا، لكن قد يجر إلى كبار الأمور».

وعندما كنت أحدث ضابط الاستخبارات الخاص عن عبد الكريم قاسم، كان وجه ينبئني بأن معلومات كثيرة إلا أنها غير أكيدة قد وصلت عنه.

وفي يوم ٦ كانون الثاني/ ١٩٥٨ وهو يوم ذكرى تأسيس الجيش العراقي جرى استعراض ضخم للجيش في مطار الرشيد العسكري – وألقى الملك كلمة قصيرة نوه فيها عن الخطر الشيوعي الذي يحيق بأمتنا، وبدا صوته جهوريًا واضحًا، وهو يحاول أن يتلاعب بأوتار صوته لتكون لكلماته وقعها في الآذان والنفوس.

ووقفت القطاعات العسكرية المختلفة بالنسق الاستعراضي قبل التفتيش، وكان فوج الحرس الملكي يقف مجاورًا لواء المشاة ١٩ حيث وقف في مقدمته آمره العميد الركن عبد الكريم قاسم، وكانت تلك المرة الأولى التي أرى فيها هذا الضابط. وقد بدا أمامي وهو يصول ويجول أمام أفواجه بقامته العسكرية المشدودة شدًا، كأنه سيف غرز في الصخر، وبدا كل ما فيه وكأنه خلق للجيش والقيادة.

وكانت الأوامر قد صدرت إلى القطاعات بالوقوف بالاستعداد والتتابع ابتداء من الكلية العسكرية، فكلية الطيران، ثم فوج الحرس الملكي، وبعده لواء التاسع عشر. على أن يصدر آمر القطعة إيعازه بالاستعداد لقطعته حال نزول الملك من قاعدة التحية والمرور أمام القطاعات للتفتيش.

وحالما نزل الملك من القاعدة وقبل أن تدور سيارته نصف دورة ليصل أمام الكلية العسكرية باشر آمرو القطاعات بالإيعاز بالتتابع.

كان صوت عبد الكريم قاسم يشق السكون... رفيعًا.. ثاقبًا.. صارمًا. بالإيعاز إلى وحداته بالاستعداد قبل بقية الوحدات.

وكأنه بهذا أراد أنه يثبت أمام الملك وصحبه وعيون استخبارات الجيش وفوج الحرس المجاور له.. بأنه موال للملك أكثر منهم.. وقلت في نفسي:- إنها عملية مكشوفة.

وعندما وصلت العربة الملكية أمام عبد الكريم قاسم، تمهلت بالسير وترجل منها الملك والتقط فيلمًا سينمائيًا لعبد الكريم قاسم ركز عليه مدة دقيقتين أو ثلاث دقائق.

زيارة الحراسات الملكية.. قنبلة في سيارة الوفد الأردني لمباحثات الوحدة:

إلا أن الأيام التي تلت.. كانت تمر على الأمير القلق الخانق بحيث أخذ يشعر جيدًا – ولا خلاف – بأن ثمة خطر يهدد حياته، وأصبح في حالة ضيق نفسي واضحة حتى حدث في إحدى الليالي أن قدم رئيس التشريفات لمقابلته في القصر في ساعة متأخرة من الليل بدون موعد سابق. ولما كان رئيس التشريفات شخصية معروفة لدينا، فقد سمح له ضابط خفر قصر الرحاب بالمرور بدون إذن مسبق.

كان لهذه الحادثة البسيطة أثرها على عبد الإله.. وبعث إلينا بضابط الاستخبارات الخاص الذي ألقى فينا كلمة عبر فيها عن غضب الأمير؛ وأنه غدا يشعر بألا وجود لحرس لديه.. وختم حديثه فينا بأننا جميعًا في خدمة سيدنا الأمير.. بل إن الجيش كله في خدمة سيدنا الأمير.. ومن لا يعجبه هذا الوضع فليتقدم بطلب نقله إلى خارج الوحدة.. أو خارج الجيش.

وانبرى عدد من الضباط يطلبون بأن تكون مسؤولياتنا مضاعفة. وأن يصدر أمرًا بإبقاء ضابط خفر قصر الرحاب يقظًا طوال الليل دون أن ينام مطلقًا. وكان

أبرز المتكلمين هما الضابطان عبد الله مجيد آمر مفرزة تصليح آليات اللواء.. ومنهم عزيز آمر رعيل مدرعات الفوج، اللذان بدوا منفعلين وما يتحدثان عن ضرورة المحافظة على حياة الأسرة المالكة الغالية.

وجدير بالذكر أن الواجبات التي كانت ملقاة على جنود الفرج تضاعفت أربعة أضعاف عما كانت عليه قبل عام؛ بحيث زيدت نقاط الحرس في قصر الرحاب. وازدادت النقاط تباعًا في الزهور والبلاط والفوج. وازداد عدد الدوريات. وصدرت الأوامر المشددة لضباط الخفر بالقيام بدورات تفتيشية وكانت عقوبة الجندي المقصر في واجبه السجن مدة عشرة أيام كحد أدنى.

ولم يكف الجنود في السرايا للواجبات، وأصبح أي جندي لا يستطيع أن يغادر الثكنة إلا نادرًا وبحالات استثنائية حتى أن بعضهم كان يظل في الواجب مدة ثلاثة أو أربعة أيام متتالية بكامل قيافته العسكرية، حتى بدا على عدد منهم الاصفرار والخور والإنهاك.

وراحت تنهال الشكاوى من ضباط الصف القدامى.. أنه لم تمر في حياته فترة ظلوا فيها بالواجبات المتتالية كهذه الفترة.

ولم نقم بتخفيف الواجبات العسكرية الأخرى عنهم، ذلك أن منهج التدريب الفردي والإجمالي كان يطبق بحذافيره، وبشدة.

وعندما انتقل إلى الأمير وصف تلك الحالة النفسية والجسمية المرهقة التي يعيشها الجنود؛ كان من الواضح جدًا أنه غدا خائفًا من الموقف العام كله، إذ رد علي: بأننا نمر بموقف دقيق جدًا.. ويتطلب أن نكون كلنا.. بالإنذار.. واستأنف قائلاً: إننا نمر بأزمة.. وستنتهي بشكل ما كما انتهت غيرها من الأزمات. لكنه قال ذلك بصوت خال من الثقة بنفسه تمامًا.. حتى إنني قلت فيما بيني وبين نفسي. هذه

أول أزمة أراها في حياتي بصحبة الأمير... ولا أدري ما إذا كان قد عالج الأزمات السابقة بنفس الروحية والمعنوية المتردية التي أراه عليها الآن.. أم أن أزمة هذه المرة أعنف وأشد وقعًا عليه...؟

إلى هنا.. لا بد من أن أعود فأتذكر أنه حتى تلك الساعة.. وحتى إلى ما بعدها.. فلم يسبق أن كلمت الملك بأي شأن من هذه الشؤون.. وكان الملك يبدو طبيعيًا في أغلب الأوقات التي تسمح لنا واجباتنا بلقياه.. لدقائق معدودات فقط، ولا يدور بيننا أي حديث خارج حدود المجاملات، بحيث لا يمكنني في هذا المقام أن أعطي صورة واضحة عن مشاعر وخواطر وأحاسيس الملك في تلك الفترة الحركة التي كنا نجتازها. بيد أنه بتاريخ ٢٣/ آذار/ ١٩٥٨ كنت أتأهب للسفر إلى الباكستان للاشتراك في استعراض عسكري تقوم به قطعا رمزية لدول حلف بغداد.. وعندما اجتمعت بالملك وعن قرب، رحت اتفرس معالم وجهه.. فهالني منظر الشحوب يطغى على ملامحه. علامات الضعف الشديد تنطق على سيماه، إلا أن كل ذلك لم يمنع الابتسامة المشرقة أن تلازم شفتيه وهو يلقي بحديثه العذب على مسامعي.

وعندها تيقنت من أن جلالته وإن كان يبدو بعيدًا عن الأحداث، إلا أن طبيعته ونفسيته الهادئة المسالمة جعلته ولا ريب يكتم خوفه وقلقه في نفسه.. ويكظم انفعالاته وحريته داخل قلبه، أو قد يفضي بها إلى الرجل الوحيد الذي يثق به ألا وهو خاله الأمير.. ولست أدري كيف كان عبد الإله يعالج تلك الأمور مع الملك. أو كيف كان يطمئنه لأنه – كما قلت – لم يسبق لي أن تحدثت مع الملك.. أو مع الأمير وبصحبتنا الملك بشأن من الشؤون.

وعندما رجعت من الباكستان، وجدت أن هناك مفاجأة كبرى تنتظرني؛ إذ شاهدت حينما كنت في قصر الزهور حطامًا مخيفًا لسيارة مرسيدس مهشمة تهشيمًا

كاملاً ومحترقة وملقاة في المرآب الخلفي. وقد علمت أن الحادث حصل عندما جاءت السيارة تقل وفدًا أردنيًا لإكمال مباحثات الاتحاد بين العراق والأردن. وترجل الوفد منها ونزل إلى قصر الزهور، وجرت المباحثات. وعندما أنهى الوفد مهمته خرج الكل من القصر، وفيما كان أعضاء الفريقين يتصافحون بالباب، ويودع بعضهم بعضًا، شاهدوا وميضًا يخطف الأبصار تبعه دويي انفجار هائل تطايرت على أثره أشلاء السيارة في الفضاء. وأسرع الوفد بصحبة نوري السعيد بدخول القصر ثانية، وهرع ضباط الحرس من بهو الضباط مسرعين باتجاه صوت الانفجار. وبعد دقائق وصل الأمير الذي كان ما يزال يرتدي منامته، وشاهد النار وهي تلتهم بقايا السيارة.. وإلى جانبها جثة أحد بستانيي القصر وقد مزقها الانفجار. فأمر الأمير بنقل الجثة وأشرف بنفسه على إطفاء النار. وسرعان ما حضر خبراء المتفجرات والمفرقعات من الجيش للكشف عن الحادث. فكان تقريرهم يجمع على أن الحادث لم يكن بفعل وجود قنبلة أو متفجرات؛ وردوا أسبابه لتماس الأسلاك الكهربائية بعضها ببعض في السيارة، وإلى ارتفاع الحرارة في خزان الوقود وكان الانفجار... وبذا أسدل الستار على الحادث.

دوائر الأمن العام.. وحركة الضباط الأحرار:

لم تكن مديرية الأمن العامة ودوائر مخابراتها المدنية.. ووكلاؤها بغافلين أو متغافلين عن موضوع الحركة في الجيش. وقد تناقلت الألسن بعد الثورة بأن السيد بهجت العطية مدير الأمن العام قد أخبر نوري السعيد مرارًا بحديث تلك الحركات. وقيل في رواية أنه اتصل تلفونيًا بنوري السعيد في الساعات المبكرة من صباح يوم الثورة، ليخبره بأن وحدات الجيش تقوم باحتلال بغداد.. إلا أن السعيد رد عليه بأن يطمئن وينام ولا يخشى شيئًا.

ولا نعرف مدى صحة هذه الرواية، إلا أن من المؤكد أن دوائر الأمن العام كانت على علم اليقين بتفاصيل حركة الضباط الأحرار، لما كان يصلها من تقارير وكلائها المندسين في صفوف الأحزاب والمدنيين وغيرهم. ففي أواسط شهر نيسان من نفس السنة أوفدت بمهمة عسكرية خاصة لبعض وحدات الفرقة الأولى في جنوبي العراق. وعندما بلغت مدينة الحلة خطر لي أن أقوم بزيارة مجاملة إلى مدير أمن الحلة.. السيد أنور ثامر الذي سبق له أن رافقنا في سفرة إلى خارج العراق بمهمة المحافظة على حياة الأمير.

وعندما تطرق بنا الحديث إلى وضعية الجيش أفاد المومأ إليه بأنه يعتقد جازمًا بأن الجيش يتمخض لمن حركة قوية بين ضباط الفرقة الأولى باسم حركة الضباط الأحرار، وبحوزته أدلة دامغة على أنهم يسعون للقيام بانقلاب عسكري.. وأدلى إليّ ببعض أسماء الضباط النشيطين، وأطلعني على عدة تقارير من وكلائه عن نشاطات بعض العسكريين في المنطقة، ثم أردف قائلاً: «إلا أن تلك المعلومات برمتها لا علاقة لها بدائرتي، واختصاصي الوحيد يستهدف الحركات التي يقوم بها المدنيون، أما قضايا الجيش فهي من اختصاص مديرية الاستخبارات العسكرية، وعندما وصلت إلى مدينة البصرة وجدت بانتظاري مفاجأة من نوع آخر، إذ بينما كنت في أحد شوارعها، إذ بي ألتقي بالنقيب المتقاعد عباس الدجيلي الذي سرعان ما احتضني.. ودعاني معه إلى سهرة معه تلك الليلة.. وفي النادي شرع الدجيلي يعب الخمر عبًا بشراهة المجنون.. وكان كلما زاد من الشراب انفتح فمه عن أسرار رهيبة عن المستوى الرفيع والمقدرة البالغة التي آل إليها تنظيمهم.. وأنهى قوله محذرًا إياي بأنه لن يهمه بشيء إذا ما قمت بإيصال هذه الأخبار للحكومة.. أو للسموات.. لأن مصير الحكم كله سينتهي قريبًا بضربة من حذائه.

الأمير عبد الإله.. الحزين القلق:

وحالما قفلت راجعاً إلى بغداد بعد انتهاء مهمتي.. كنت في مساء اليوم ذاته على موعد مع الأمير للإدلاء له بما في جعبتي من أخبار عن الفرقة الأولى. لقد كان الأمير في حالة نفسية يمكن وصفها بالقاتلة.. ولم يسبق لي قط أن شاهدته على تلك الدرجة من الخمول والشرود.. وقد بدت علامات الكبر تعلو وجهه، وتقوست كتفاه، كأنه ينوء بحمل ثقيل. وعندما كنت أؤدي له التحية العسكرية في غرفة استقباله، كان يجلس مسترخيًا على كرسيه، وقد ارتدى روبًا أسود، وأشار إليّ بطرف أصبعه: أن أقعد.. فقعدت، وكان من عادته أن يقدم لي لفافة ثم يولعها بنفسه، ثم يطلب لي كأسًا من الشراب إلا أنه لم يفعل هذه المرة: وبدا أنه لا يريدني أن أطيل الكلام في حضرته. وعندما كنت أحدثه عما سمعته.. كان بصره يسرح في سماء الغرفة.. ويتطلع يمنة ويسرة كمن اعتاد على سماع هذه الأخبار... وزهق منها.. أجل.. لقد زهق ومل هذه الأخبار المفجعة التي أصبحت كطعامه وشرابه اليومي الذي لا بد أن يكون قد مله أيضًا، فلم يعد يستسيغه ولا يستسيغ من وقعه الطعام والشراب.

وعلى غير عادته.. فلم يعلق على الأخبار بشيء، كما لم يطلب المزيد من المعلومات.. بل هز رأسه وشكرني: وفي وجهه ألف إشارة أن أدعه لوحدته، وأن لا أزيده ضيقًا على ضيق، فهو لم يعد بحاجة إلى أخبار ولا إلى معلومات.. بل ولا أصدقاء، وأكاد أقول في هذا الصدد بل إنه لم يعد يحتاج إلى العراق كذلك.

حاولت أن ألقي على مسمعه نكتة تزيل عنه الكآبة، إلا أنه ابتسم ابتسامة هي تكشيرة الألم.. وألفيت نفسي كأنني أثقل عليه بوجودي؛ لأنه يحتاج قبل كل شيء إلى أن يخلو لوحده.. لنفسه.. لأفكاره.. فانسحبت من مجلسه.

لقد لازمني الأرق تلك الليلة ولم يجد النوم إلى جفوني سبيلاً، إذ لم يفارقني مرأى الأمير حزينًا.. وبدا لي وجهه مرآة تعكس ما في نفسه من خوف وقلق.. قلق نفسه.. والقلق العام الذي كان يعيشه العراق تلك الأيام.

وفي الفترة الممتدة من نيسان إلى أواسط حزيران كنت قد استلمت سرية حراسة البلاط، حيث كنت أشاهد فيها الملك والأمير يوميًا تقريبًا. ورغم أن تلك الأيام كانت حافلة بالأحداث السياسية الخطيرة.. وأهمها إكمال مراحل الاتحاد بين العراق والأردن.. ومحاولة إقامة اتحاد مع الكويت كذلك، إلا أن كل ذلك لم يعد الابتسامة إلى وجه الأمير.. كان يدخل مكتبه المكتظ بالرسائل المختومة، ويخرج منه وقد امتلأت المرمدة بعشرات الأعقاب للفائف التي دخنها. ولمدة شهرين.. لم يبعث الأمير بطلبي، أو يحدثني منفردًا في المواضيع التي اعتدنا الخوض فيها، لقد ازداد وجهه عبوسًا، وازدادت نظراته حيرة.. وأخذت ألاحظ أنه غدا يطرق أرضًا وهو يسير. وفي الثاني من شهر مارس أقام الفوج حفلة حضرها الملك الذي بدا منشرحًا وهو يستمع إلى غناء المطربات اللواتي جئن للترفيه عن الجنود. أما عبد الإله.. فكان غارقًا في تأملاته الخاصة وهو لا يعي ما يدور حوله إلا الاستماع إلى رئيس أركان الجيش الذي كان مندمجًا معه في حديث.

وفي الحفلة الوحيدة التي أقامها قصر الرحاب بالمناسبة.. شاهدته يطيل الحديث إلى هذا وذاك، وكأنه يدفع عن مخليته هاجس الظهور بمظهر الخائف أو القلق أمام الناس.

المقابلة الأخيرة مع عبد الإله.. (لقد فاضت الكأس بما فيها)

كانت المرة الأخيرة التي اجتمعت بها إلى الأمير في أوائل شهر تموز من عام ١٩٥٨.. ففي أمسية حارة من أماسي ذلك الشهر. رن جرس الهاتف.. وطلبني

الأمير إلى قصر الرحاب.. وفي غرفة استقباله كان أحد أفراد الحرس الخاص يعد طعامًا خفيفًا على منضدة مجاورة عندما قال له الأمير: أنه لا يريد طعامًا هذه الليلة، وأمره بالانصراف.. وبقينا منفردين.

منذ شهرين ونصف أيقنت بأن الأمير لم يعد يكترث لأحد.. لم أحظ منه بغير عبارة صباح الخير.. ومع السلامة التي كان يلقيها عليّ في انبلاط؛ حتى خامرني الشك بل الخوف من أن يكون غاضبًا عليّ أو سمع عني ما لا يرضيه، أو أن أكون قد تصرفت تصرفًا لم يعجبه، إلا أن الابتسامة عادت فأشرقت على وجهه، ثم لم يلبث أن اعتذر لي عن عدم تمكنه من استدعائي.. وسألني ما إذا كنت لا أزال أتردد على ضابط الاستخبارات.. وأفضى إلي بأن مشاغله ومشاكله غدت كثيرة..

لم يتحدث عن الوضع السياسي.. ولم يستطلعني الأخبار والمعلومات.. إنما وبشكل فجائي قفز دفعة واحدة إلى فوج الحرس الملكي إذ سألني: «كيف هي الوضعية الآن في الفوج.؟».

وعندما كنت أحاول أن أجمع شتات نفسي وأهم بالجواب، قاطعني بقوله: «هذا أحد ضباط دورتك.. الملازم أسعد حموش.. رغم أنه قضى معنا سنتين فقد أضررنا لإبعاده عن الفوج ولم يخبرني أحد منكم عنه شيئًا».

وعندما حاولت الإجابة.. بل السؤال عما اقترفه أسعد الذي فوجئنا جميعًا بنقله من الفوج إلى آمرة مديرية الإدارة في وزارة الدفاع. بادرني الأمير بسؤال محير آخر إذ قال: «ما رأيك بالنقيب منعم عزيز آمر رعيل المدرعات في الفوج؟».

وعندما أجبته بأنني لم أسمع عنه شيئًا، ولا أتصور أن يكون غير موال كان الأمير كعادته قد غرق في تفكير عميق، وسرح ببصره غارقًا في كأسه التي كانت أمامه، ثم تكلم وخرجت كلماته من فيه وكأنها فحيح، وقال:

«والله لم أعد أدري أين أنا... لقد فاضت الكأس بما فيها..».

وسكت وسكَتُّ أنا كذلك.. ولم أدر ماذا أقول أو أتحدث به.. وهل بقي هناك ما يمكن أن أتحدث به.

لقد صدق الأمير بقوله: أن الكأس فاضت بما فيها.. إذ لم يعد هناك أسرار أو أنباء مكتومة، أو حركات مستورة لا يعرفها الأمير حتى أفضي بها إليه، وذلك لسبب بسيط وبسيط جدًا.. هو أنه لم يعد هناك من يكترث للكلام سرًا.. أو العمل جهرًا.. ثم التفت إليّ وقال تعال نتمش في الحديقة.. وعندما كنت أهم بالوقوف كنت كمن يريد الخروج من غرفة فيها مريض يلفظ أنفاسه الأخيرة.. ليخرج إلى حيث يتسنى له أن ينسى هذا المنظر المفجع.

وهبط الأمير درجات قصر الرحاب، ولفحت وجهنا نسمات حارة من نسمات ليالي شهر تموز في بغداد، وسار الأمير في الطريق المؤدي إلى الشارع العام الذي كان ساكنًا تمامًا لا يُسمع فيه إلا وقع خطواتنا. ومزق السكون صوتُ جنود الربايا والدوريات وهم يضربون أخمص بندقياتهم أرضًا استعدادًا وتحية للأمير الذي كان يرد عليهم التحية بيد متثاقلة.

كان يسير وهو يجر خطاه جرًا.. وعلى طول الطريق لم ينبس ببنت شفة. وعندما بلغنا مباني ثكنة الرحاب التفت إلي وقال: تصبح على خير. وعندما كنت أؤدي له التحية.. كان يسير وقد لفه ظلام الشارع متوجهًا إلى الجسر الحديدي الذي يمر فوق نهر الخر، ومن مكاني في حديقة الثكنة كنت أراقبه، وقد اتكأ تعبًا على المسند الحديدي للجسر، وهو يتطلع إلى المياه الراكدة السوداء.. ومن مكانه هذا كان يبدو وكأنه شبح أسود يومض بين الفنية والفينة بوهج أحمر كلما ارتشف من لفافته نفسًا عميقًا.

وعندما كانت السيارات تمر فوق الجسر ذاهبة آيبة كانت أنوارها تتسلط على هذا الرجل المتكئ تعبًا على الجسر دون أن يعرف ركابها أنه حاكم العراق الأول.

وكنت في وقفتي تلك قد سرحت بي الأفكار مبتدئة بالملك الذي لا بد أن يكون الآن نائمًا يحلم أحلامًا وردية، وقد لفه سكون الملاك الذي يتمثل بشخصه الملاك، ولا بد أن تكون في نفس الأمير ما عليه نفسي الآن من وجل وبلبلة وخوف .. خوف من كل ما يحيط بنا ويلفنا.. خوف حتى من الصرح المظلم الساكن هذا، والتفت إلى القصر وأصداء حديث الناس تزوبع في خيالي: ثورة.. انقلاب عسكري.. حركة سيقوم بها الجيش اليوم.. غدًا.. بعد أسبوع.. الشهر القادم.

ولم يكن هذا حديث استخباراتنا فقط.. أو حديث زملائنا الضباط.. كما لم يكن هذا الكلام مقصورًا على السياسيين والمعارضين والشباب المتحمس للثورة.. وإنما غدا كلام الناس في كل مكان: حديث في الشارع، في المقهى، في النادي، في العمل في كل مكان.. ولم يطل الوقت حتى أصبحت تلك الأقوال حديث النساء والأطفال... وكثيرًا جاءني الأهل والأقارب يستفسرون عن صحة تلك الأخبار، أو يزودونني بالإشاعات والأقاويل. وبكيت المرحومة والدتي مرارًا وهي تسمع تلكم الأحاديث.. وكم من مرة قالت، والدمع يغرورق في مآقيها بأنها تتوجس خوفًا من شر داهم.

وحتى هواجس زملائي ضباط الوحدة عن الأمير وآلامه وأحزانه.. وقلقه.. كانت متشابهة لما كنت أفكر أنا فيه. وكم تحدثنا نحن ضباط السرية عن أحلام مزعجة راودتهم في منامهم، وأيقظتهم فزعين، وهم يتخيلون أن هجومًا قد شن على القصر.

وقطع عليَّ سلسلة أفكاري وقع أقدام الأمير، وهو يقفل راجعًا إلى القصر..

وعندما كنت أحييه التفت إليَّ وقال لي مرة أخرى: تصبح على خير، ثم تابع سيره في الشارع المظلم المؤدي إلى داخل القصر.. وابتعد عني، وهو يسير متباطئًا كمن ينوء ظهره بحمل ثقيل.. ووسط ذلك السكون من الظلام.. كان نعيق وصرخات الطواويس يشق السكون، والتي لم تعد تسير متبخترة بريشها الجميل خوفًا من الظلام.. بل تكتفي بين الفينة والفينة بأن تطلق صرختها المدوية.. كصرخة الموت التي تطلقها نساء بغداد في مواكب الجنازات.

وبالنسبة لواجباتنا في الفوج فقد ضاعفنا الحراسات.. ووزعت علينا أوامر خطية عن حالة الإنذار، الدرجة (ج).

لقد كنا نعرف أن حدثًا ما سيقع.. أما كيف سيكون ذلك الحدث..؟ وأين سيكون؟ ومتى..؟ تلك أمور كنا نجهلها.

والإنذار للدرجة (ج) معناه يكون الفوج بكامله على أهبة الاستعداد للمعركة؛ بكامل عدته وسلاحه وأن يكون الكل بملابس الميدان معتمرين الخوذ الحديدية؛ ويوزع عتاد الخط الأول – عتاد المعركة – على الجنود، وكذلك يوزع ضماد الميدان؛ وتتحرك المدرعات الثلاث الموجودة في الفوج لحماية جوانب قصر الرحاب.

على أنه لم تصدر إلينا أوامر حركات؛ أو مناقشة تعبوية لخطط دفاع، أو خطط هجوم؛ أو خطط انسحاب من القصر. كما لم تصدر إلينا أوامر أو تعليمات عن كيفية تصرفنا في حالة وقوع هجوم مباغت على القصر؛ أضف إلى ذلك أنه لم يسبق لنا أن قمنا بتدريبات على تلك الأمور، ولا ناقشنا مناقشة عسكرية متفحصة للمناطق القريبة من القصر التي قد ينشب فيها قتال.

كان موجود قوة قصر الرحاب يوم ١٤/ تموز/ ٥٨ سرية المشاة الأولى بإمرة النقيب ثابت يونس الذي كان يشغل منصب المرافق العسكري للملك وكالة.

واستلم السرية بدلاً عنه معاونه النقيب نشأت ماهر.

وكان آمر الفصيل الأول الملازم عامر خالد الحمدان؛ وآمر الفصيل الثاني الملازم فالح زكي حنظل، وآمر الفصيل الثالث الملازم أمير عليوي.

وقد أضيفت إلينا قوة من فصيلين من السرية الثالثة مسلحين بالبنادق بإمرة ضابط صف برتبة رئيس عرفاء.

وكان ملاك سريتنا كاملاً من حيث العدة والعدد، وبذا يكون مجموع قوة قصر الرحاب حوالي ٢٢٠ رجلاً يضاف لهم حوالي العشرين نفرًا من الانضباط والحرس والخاص.

وكان يتيسر لنا في مشاجب السرية تسعة رشاشات بون. وثلاثة مدافع هاون ٢ عقدة، وقد بلغت نقاط الحراسة في القصر ثماني نقاط.. وعدد الدوريات ثماني دوريات. وانتشرت نقاط الحراسة الجديدة في أرجاء حدائق القصر وأطرافه بحيث غدا ثكنة عسكرية صغيرة.

ومع ازدياد الحراسات والواجبات، كان قلقي يزداد بشأن الوضعية العامة وأنا أتطلع في وجوه الجنود والضباط الذين التحقوا بنا مؤخرًا، إذ أنه في ١/ تموز/ ٥٨ التحقت بنا وجبة جديدة من ستة ضباط أحداث تخرجوا من الكلية العسكرية؛ وكثيرًا ما كنت أسأل نفسي ترى هل تم انتخاب هؤلاء الضباط للحرس الملكي.. لطولهم وعرض أكتافهم، كما حدث معنا ومع غيرنا. أم أن الاختيار كان في هذه المرة صائبًا وموفقًا. وكنت على شبه يقين بأن هذه الوجبة الجديدة من الضباط الشبان لا بد أن تكون مشحونة بنواة الثورة التي تم «طبخها» في بقية الأحداث.

إلا أن دهشتي كانت بالغة.. يوم وقع الانقلاب.. وأنهدَّ صرح الملكية.. وقامت الجمهورية، كان المرافقان العسكريان اللذان رافقا بطل احتلال بغداد العقيد الركن

عبد السلام محمد عارف هما: النقيب منعم عزيز.. ضابط مدرعات فوج الحرس الملكي، والملازم أول عبد الله مجيد ضابط مفرزة تصليح آليات لواء الحرس الملكي.

القدر:

وفي يوم ٥/ تموز أنقذت من الحالة التي كنت فيها، وزايلتني موجات الحدس والتخمين التي كانت تعتمل في أعماقي.. فكان ترشيحي إلى دورة تدريب مشاة أساسية في مدرسة المشاة في معسكر الوشاش.

وعندما كنت أقدم نفسي لآمر الدورة النقيب عبد الستار سبع العبوسي، كانت هناك زمرة من حوالي العشرين ضابطًا من مختلف الوحدات قد التحقوا بتلك الدورة. ولم أكن – في تلك اللحظة – أعلم بأنني أقف مع مجموعة للضباط الذين ستشاء إرادة الله تعالى أن تُقتل الأسرة المالكة كلها على أيديهم، وأن يقيموا برشاشاتهم.. صرح الانقلاب وبناء الجمهورية العراقية.

وفي مساء يوم الخميس ١٠/ تموز كنت قد ارتديت ملابسي العسكرية بغية التوجه إلى مدرسة المشاة عندما طرق باب منزلي صديقي الملازم عبد الرحمن السيد جواد.. وبعد السلام والكلام قال لي: لقد انتهت القضية يا فالح.. فلواء المشاة العشرين الذي سيذهب إلى الأردن، ليقوم بتبديل رتل الهادي الموجود هناك، وحالما سيمر اللواء المذكور في بغداد فسيحتلها.. ويقوم بالانقلاب؛ على أن ينفتح لواء المشاة (١٩) في منطقة منصورية الجبل ليتقدم إلى بغداد لاستثمار الفوز، أو معالجة الموقف أن هو تطور في غير صالح الثورة ورجاني صاحبي بقوله: أنه جاء قادمًا من معسكره ليقول لي كلمتي تلك، لأبتعد عن الفوج أو آخذ أجازة، أو أستريح في البيت، وألاّ أتورط في المناومة لأن القضية منتهية، ولا شفيع أو صديق لنظام الحكم في العراق.. وودعني، وهو يقبلني مكررًا رجاءه: أن أبتعد عن مواطن الخطر.

وعندما تركني صاحبي.. رحت أسبح في خيال القلق ثانية.. ذلك القلق الذي طالما لازمني طوال السنتين المنصرمتين.

لقد كان خبرًا كبقية الأخبار السابقة التي سمعتها والتقطتها من عدة مصادر.. ستقوم الوحدة الفلانية بالانقلاب يوم.. كذا..

لقد توترت الأنباء والأخبار عن هذه الحركة، وعن هذا الانقلاب، حتى بات الأمر بالنسبة لي كمن يقول لي أن في يدي خمس أصابع أعرفها حق المعرفة.

هكذا كان الانقلاب.. حقيقة واقعة.. وبدهية مسلمًا بها.. ننتظر اليوم الذي تظهر فيه بشكل انفجار.. مسموع.. ومشهود.

وعندما كنت في طريقي إلى معسكر الوشاش، كنت قد أزمعت الذهاب من فوري لمقابلة الأمير والإدلاء له ما عندي.. وعندما كنت أراجع نفسي باطنًا وظاهرًا.. هل أذهب الآن..؟.. أم.. أتريث قليلاً..؟

ماذا سأقول..؟

لقد قلت مرارًا ومرات مثل هذا الخبر.. للأمير نفسه.. فكان الرد.. على تلك الأخبار تسجيلها في محضر خاص.. حفظها.

ثم ترى ما هي حالة الأمير النفسية الآن؟ فأنا لم أره منذ أسبوعين.. كان في آخر مرة رأيته فيها بادي الهم، ظاهر الغم. يعتصر الألم نفسه اعتصارًا. كان مظهره مظهر مريض يعرف أنه لا رجاء بشفائه؛ وأنت تعرف عنه ذلك أيضًا. لا تريد أن تطيل الجلوس معه.. لأنك، وأنت تجالسه، فكأنك في حضرة ميت حي أو حي ميت.

وفي المرة الأخيرة.. التي رأيته فيها كان إنسانًا يائسًا من وجوده. غير راغب في بقائه بل غير مقتنع بصلاحيته للبقاء في العراق.

obeikandi.com

ودارت في ذهني كلمته الأخيرة.. وهو يتطلع إلى أسماء كل التشكيل الانقلابي. أن هؤلاء أنفع للعراق منه. هو يعرفهم ويعرفونه. لذلك فهو يريد مغادرة العراق. ولا داعي للمناقشة أو إطالة المناورة.

وفي الطريق أيضًا. رحت أضع تقدير موقف عسكري عن حركة لواء مشاة، وقدرت أن لا بد أن يكون القائمون بها مجانين، فبغداد تستطيع أن تبتلع فرقة كاملة. وأن بمستطاع قوات الحرس الملكي مقارعة فرقة أخرى.

وقدرت كذلك أن لا بد أن يكون مثل هذا النبأ بلغ مسامع الأمير الآن عن طريق غيري فإذا أنفذوا بطلبي فسأؤيد سماع مثل هذا الخبر. وكما حدث في المرات السابقة سوف يفتح به ملف خاص. ثم يحفظ الملف وما فيه.

وعندما وصلت إلى باب المعسكر الوشاش حيث تعسكر مدرسة المشاة. تذكرت أن هناك ضابطين معنا من وحدات لواء المشاة العشرين، ولواء المشاة التاسع عشر. فقررت أن أتكلم معهما أولاً.. وعلمت منهما بأن لواء المشاة العشرين قد تأجل سفره إلى الأردن حتى إشعار آخر.. فتنفست الصعداء. وقلت لنفسي: حسن ما فعلته، ولم أذهب رأسًا إلى القصر للإدلاء بهذا الخبر لأنه سيكون كبقية الأخبار التي لم تقع.

وفي مساء اليوم الثاني كنت أتوجه إلى قصر الرحاب لأستفسر عن حالة جنود فصيلتي، فوجدتهم مشغولين بتهيئة ملابس حرس الشرف الزرقاء والبيضاء، ذلك أن السرية قد أبلغت بالتهيؤ للقيام بمراسيم حرس الشرف في المطار المدني توديعًا للأسرة المالكة التي ستغادر العراق إلى استانبول لقضاء فصل الصيف هناك، وللاشتراك في اجتماعات رؤساء دول ميثاق حلف بغداد، ولإكمال التهيؤ لعقد قران الملك.

وكان موعد السفر الذي أعطى للسرية لتكون حاضرة على أساسه، هو صبيحة يوم الإثنين الموافق ١٤/ تموز/ ١٩٥٨.